الفصل الثالث

الزبيريون

١

لا شك فى أن نشأة الحزب لا ترجع إلى الوقت الذى دعا فيه ابن الزبير إلى نفسه بمكة سنة ٦٣ هـ وإنما كانت قبل ذلك .. والتاريخ الصحيح لنشأة الحزب الزبيرى هو الفتنة التى أدت إلى قتل عثمان وخروج الزبير وطلحة وعائشة على علىّ بن أبى طالب .

ويمكننا أن نرجع إلى ما قبل ذلك التاريخ بعدة سنوات لنتتبع تكون نواة هذا الحزب بعد مقتل عمر مباشرة .

كان الزبير أحد الستة الذين عهد إليهم عمر بانتخاب خليفته من بينهم ، ولكنه كان واثقاً أن الأمر سيعدوه بالقطع إلى أحد رجلين هما علىّ وعثمان ، وخشى لو أنه وقف فى جانب علىّ أن يكون وقوفه اعترافاً بأحقية بنى هاشم فى الخلافة وأن تظل محصورة فيهم مما يتعارض وطموحه ، وبهذا نفسر وقوفه إلى جانب عثمان الشيخ المسن ، فإن فاتته الخلافة هذه المرة فربما لا تفوته بعد ذلك . وليس شك فى أن فرصة انحصار الخلافة فى البيت الأموى أقل من انحصارها فى بيت الرسول .

وقد تمخض عن الشورى حزبان كبيران هما الحزب الأموى الذى فاز بالخلافة عندما تولاها عثمان وحزب الهاشميين الذى سخط على ضياعها منه ولكنه دخل فيما دخل فيه الناس .

وبجانب هذين الحزبين الأساسيين كانت هناك نواتان لحزبين ناشئين هما : حزب الزبير الذى كان يسانده أهل الكوفة ، وحزب طلحة وكان سنده

أهل البصرة . وكان موقف هذين الحزبين لا يزال موقف المتفرج حتى تسنح الظروف ، وحدث أن عثمان لم يول الزبير ولاية من الولايات فخرج إلى الكوفة حيث نجح هناك فى إنشاء حزب زبيرى ، إذ التف الناس حوله كما التفوا من حول كبار الصحابة الذين أنشأوا لأنفسهم أرستقراطية دينية سداها المال ولحمتها السبق فى الإسلام وصحبة الرسول[١] .

وعندما حوصر عثمان اتفق الثوار جميعاً على خلعه ، ولكنهم اختلفوا فيمن يخلفه ، فكان هوى ثوار مصر فى علىّ ، وكان ثوار البصرة يرغبون فى طلحة ، بينما رغب ثوار الكوفة فى الزبير[٢] .

وكما فعل علىّ وغيره من الصحابة أرسل الزبير بابنه عبد الله ليدفع عن عثمان كيد الثوار ولكن هذا الدفع لم يجد شيئاً ، وقتل عثمان ولم يكن مقتله ليرضى أحداً من صحابة رسول الله ، وإن كانوا جميعاً يرون أن يتنازل عن الخلافة[٣]

وقد أبدى عبد الله شجاعة ملحوظة أثناء الحصار مما حدا بعثمان أن يعهد إليه بوصيته ، فكان آخر من خرج من الدار ، وقد أمره عثمان بأن يصير إلى أبيه فى وصيته بما أراد ، وأن يأتى أهل الدار فيأمرهم بالانصراف إلى منازلهم فخرج عبد الله آخرهم فما زال يدعى بها ويحدث الناس عن عثمان بآخر ما مات عليه[٤] وأفاد ابن الزبير من هذا الموقف فكان يفخر به دائما ، حتى لقد فخر به يوما من فوق منبر مكة فقال : « لقد استخلفنى أمير المؤمنين عثمان على داره فلقد كنت أنا الذى أقاتل بهم ولقد كنت أخرج فى الكتيبة وأباشر القتال بنفسى فجرحت بضعة عشر جرحاً وإنى لأضع اليوم يدى على بعض تلك الجراحات فأرجو أن تكون خير أعمالى[٥] .

---

(١) تاريخ الإسلام / جـ ١ / ص ٣٤٥

(٢) المختصر فى تاريخ البشر / جـ ١ / ص ١٦٩

(٣) البداية والنهاية / جـ ٧ / ص ١٩٨

(٤) الطبرى / جـ ٣ / ص ٤٢

(٥) تاريخ ابن عساكر / جـ ٧ / ص ٤٠٢

وبعد أن آل الأمر إلى علىّ وعزل ولاة عثمان جاءه الزبير وطلحة فقالا له : « هل تدرى على ما بايعناك يا أمير المؤمنين ؟ » فقال « على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان » ، فقالا له : « ولكنا بايعناك على أنا شريكاك فى الأمر » قال على « لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون وعلى العجز والأولاد »[١] .

وأبى علىّ أن يستجيب لمشورة المغيرة بن شعبة فى تولية الزبير وطلحة العراقين فبهما الرجال والأموال ، ومتى تملكا رقاب الناس استمالا السفيه بالطمع وضربا الضعيف بالبلاء وقويا على القوى بالسلطان »[٢] . كما لم يستجب للزبير وطلحة نفسيهما عندما طلبا البصرة والكوفة صراحة[٣] فلما يئسا منه طلبا أن يأخذ بثأر عثمان من قاتليه ، فاحتج باستحالة تحقيق هذا المطالب فى تلك الظروف المضطربة ، ووعدهما بأن يفعل حين يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق[٤] .

ولما رفض معاوية أمر العزل رأيا الفرصة قد سنحت لينكثا ببيعتهما فيجبرا عليًّا على أن يحارب فى جبهتين ، فطلبا السماح لهما بالخروج إلى مكة بحجة العمرة وأقسما لعلىّ أنهما لا يريدان غير مكة[٥] وكانت بها السيدة عائشة منذ حوصر عثمان فرأيا أن تحالفها معهما يضفى على تمردهما على الخليفة صبغة دينية فضلا عن الشعار الذى رفعاه وهو المطالبة بإقامة حد من الحدود الله « يالثأر عثمان » .

ولم يكن ممكناً أن تكون المدينة مسرحاً للثورة ففيها أنصار الخليفة[٦] كما لم يكن من الممكن أن يسمح لهما معاوية بأن تكون الشام مسرحاً لثورة

---

(١) الإمامة والسياسة / جـ ١ / ص ٤١
(٢) الإمامة والسياسة / جـ ١ / ٦٢
(٣) البداية والنهاية / جـ ٧ / ٢٢٧
(٤) الطبرى / جـ ٥ / ١٦٧
(٥) المختصر فى تاريخ البشر / جـ ١ / ص ٢٤٢
(٦) الطبرى / جـ ٥ / ١٦٧

لا تدعو إليه واستقر رأيهم على البصرة بعد أن تعهد لهما ابن عامر واليها السابق لعثمان وابن خاله أن له بها صنائع وأمدهما بألف ألف درهم و بمائة من الإبل[١]

وكان خروج الزبير وطلحة إلى البصرة وتربص معاوية بالشام سبباً فى أن فكر على فى نقل العاصمة إلى الكوفة ، وعندما أبدى الحجازيون ألمهم لرحيل أمير المؤمنين عنهم اعتذر بعض الصحابة عن مرافقته وناشده عقبة بن عامر أن يمكث فكان جوابه «إن الأموال والرجال بالعراق ، ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريبا منها »[٢] .

وعمل على على أن يستميل إليه أهل الكوفة فقد كان أبو موسى واليها لعثمان قد رغب الناس عنه بعد أن بايعه ، فعزله على وولى مكانه قرظة بن كعب الأنصارى فزحف الأشتر إلى الكوفة لتأديب أبى موسى فأغار قرظة على بيت المال وقصر الإمارة واستولى عليهما ، فخرج أبو موسى إلى مكة ، ونجح حجر ابن عدى فى استمالة أهل الكوفة لمناصرة إمامه ، فاستجابوا لندائه[٣] .

وكان عبد الله بن الزبير من أشد الداعين إلى حرب على إن لم يكن أشدهم على الإطلاق ، فقد ثنى خالته السيدة عائشة عن الرجوع إلى المدينة ، وشجع أباه على القتال يوم الجمل[٤] . واتخذ عبد الله من تأمير عثمان له على داره يوم الحصار سبباً كافياً لأحقيته فى الخلافة ، فاستخلاف عثمان له دون سائر أصحابه الذين كانوا معه دليل على كفايته ومقدرته ، وقد قاس ذلك على تأمير الرسول لأبى بكر فى الصلاة أثناء مرضه الأخير مما عده المسلمون ارتضاء له فى أمر الدين وكان سبباً فى ارتضائه لأمر الدنيا. وقد ظل ابن الزبير منذ ذلك اليوم يتحين الفرصة ، وعمل فى تستر على أن يصل إلى هدفه فأوقع بين معاوية وبين على حتى خاطب على الزبير فى شأن ابنه عبد الله قائلا «لقد كنا نعدك

---

(١) مروج الذهب / ج ٢ / ٢٤٢
(٢) الأخبار الطوال / ١٥٢
(٣) الطبرى / ج ٥ / ١٥٩
(٤) ابن الأثير / ج ٣ / ٢٠١

من بنى عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا »[١] .

وكان عبد الله يجتهد فى دعم الحزب الذى نكث بيعة علىّ وصولا إلى أغراضه ، وحتى صار وراء كل حركاته . ويبدو أن السيدة عائشة التى ربته واحتضنته كانت تسعى لتحويل الخلافة إليه ، فقد روى أن مروان بن الحكم لما سار إلى طلحة والزبير وقال لهما : «على أيكما أسلم بالإمرة وأوذن بالصلاة»؟ أرسلت إليه رسولا يقول له : « ما لك تريد أن تفرق أمرنا فليصل بالناس ابن أختى » ، فكان يصلى بهم حتى قدموا البصرة[٢] .

وفى البصرة عمل الزبير وطلحة على استمالة كعب بن سور سيد اليمن ، والمنذر بن ربيعة والأحنف بن قيس سيد مضر ، كما استمالا عبد الله بن عمر ولكنه رأى القعود نجاة وكان يرى لزوم السيدة عائشة بيتها حفاظاً على كرامتها وإشفاقاً على المسلمين من أن تتفرق كلمتهم وتذهب ريحهم[٣] .

ولم تصغ السيدة عائشة لنداء عبد الله كما لم تصغ لنداء السيدة أم سلمة[٤] . وأيضاً لم يبال كل من طلحة والزبير بنصح الناصحين ، وسرعان ما خرجوا جميعاً إلى البصرة فى ستمائة رجل ، وما إن وصلوا إلى ماء الحوأب فى طريق البصرة حتى نبحتهم كلابه ، فسألت السيدة عائشة محمد بن طلحة : أى ماء هذا ؟ فقال هذا ماء الحوأب . فقالت : ما أرانى إلا راجعة . قال : ولم ؟ ، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه «كأنى بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب وإياك أن تكونى أنت يا حميراء» فقال لها ابن طلحة « تقدمى رحمك الله ودعى هذا القول» وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله أنها غادرته أول الليل وأتاها بخمسين رجلا شهدوا بذلك[٥] .

---

(١) ابن الأثير / جـ ٣ / ٢٠٢

(٢) الطبرى / جـ ٥ / ١٦٩ ، ابن الأثير / جـ ٤ / ٨٨

(٣) الإمامة والسياسة / جـ ١ / ٩٩ — ١٠٣

(٤) العقد الفريد / جـ ٣ / ٩٦ — ٩٧

(٥) مروج الذهب / جـ ٢ / ٣٤٣

واستأنف الجيش سيرته إلى البصرة ، وقد عرض لهم فى الطريق سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة ونصحا لهما بالرجوع فأبوا ، وعمد طلحة والزبير إلى الصلح مع عثمان بن حنيف أمير على على البصرة على أن يكون لعثمان دار الإمارة ومسجدها وبيت المال وأن ينزل أصحابه حيث يشاءون من البصرة وأن ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاءوا حتى يقدم على فإن اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وإن تفرقوا لحق كل قوم بأهوائهم[١] .

ولكن طلحة والزبير أغارا على عثمان بن حنيف وهو يصلى بالناس العشاء وقبض جندهما عليه حيث ضرب ضرباً مبرحاً وأهين إهانة بالغة ، وهاجموا بيت المال ، وأدت هذه التصرفات إلى إعراض أهل البصرة عن طلحة والزبير[٢] ويظهر ذلك فى كتاب سعد بن سور إلى طلحة والزبير « فإن يك عثمان قتل ظالما فمالكما وله ، وإن كان قتل مظلوما فغيركما أولى به وإن كان أمره أشكل على من يشهده فهو على من غاب عنه أشكل[٣] .

وقد خلا سعيد بن العاص بطلحة والزبير فقال لهما : أصدقانى لمن تجعلان الأمر لو ظفرتما ؟ قالا : نجعله لأحدنا أينا اختاره الناس ، وقال : بل تجعلونه لولد عثمان ، فإنكم خرجتم تطلبون دمه ، فقالا : ندع المهاجرين ونجعلها لأبنائهم[٤] وهذا فى اعتقادنا هو الذى جعل الأمويين يتخاون عن مناصرة حركة طلحة والزبير .

وسار على إلى البصرة حيث التقى بجيش طلحة والزبير فى مكان يقال له الخريبة ونشب القتال ودارت معركة الجمل التى انتهت بمصرع عشرة آلاف مسلم ، وقتل على أثرها طلحة والزبير ، وشيع على عائشة مكرمة بعد أن اعتذرت له[٥] .

---

(١) الطبرى / ج ٥ / ١٧٢
(٢) الإمامة والسياسة / ج ١ / ٧٤
(٣) الإمامة والسياسة / ج ٨ / ٤٨
(٤) البداية والنهاية / ج ٧ / ٢٣٦
(٥) الإمامة والسياسة / ج ١ / ص ٧٦ ، والعقد الفريد / ج ٣ / ٣ ١٠ ، ابن سعد ج ٣ / ٢٠

وهكذا تكونت لدى ابن الزبير بعض الدوافع التى جعلته يرى نفسه حقيقاً بالأمر فهو ربيب أم المؤمنين وابن أختها وكانت تكنى به[١] وحفيد أبي بكر ، وأبوه الزبير بن العوام أحد كبار الصحابة والعشرة المبشرين بالجنة وهو ابن عمة الرسول وحواريه ، وابن الزبير أول طفل يولد فى الإسلام ، وقد عهد إليه عثمان بوصيته دون غيره وجعلته خالته إماما للجند فصلى أصحاب الجمل خلفه وفيهم أبوه وطلحة .

ويذكر ابن عساكر أنه لم يكن أحب إلى عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أبيها من ابن الزبير ، وأنها ما سمعت تدعو لأحد من الخلق مثل دعائها له وأنها أوصت له بحجرتها[٢] .

ويذكر كاترمير أنه لم يكن بين العرب الطامعين فى الخلافة فى القرن الأول الهجرى باستثناء علىّ رجل اجتمعت له الحقوق والمؤهلات سوى شخص واحد هو عبد الله بن الزبير[٣] .

ولكن هزيمة أصحاب الجمل ومقتل طلحة والزبير جعلت عبد الله يرجئ أطماعه إلى حين فقد نال منه مقتل أبيه ، وأصيب هو أيضاً بعدة جراحات ووقع فى الأسر ولم يخلصه سوى خالته لدى علىّ فعفا عنه ، وكان فى هذا كله صدمة قاسية له زاد من وقعها ظهور معاوية بن أبي سفيان على المسرح السياسى ، فطوى عبد الله أحزانه فى صدره ولم يجد غير مصانعة معاوية فكان هذا يحاسنه ويغدق عليه ، ولكن عبد الله كان يفيد من جميع التيارات حوله واستطاع بدهائه أن يجمع أهل المدينة وأن يؤلف منهم حزباً قويًّا ، ووقعت حادثة كانت إفادته منها عظيمة الجدوى إذ مكنته من إثارة مشاعر أهل المدينة ضد معاوية عندما أراد أن ينقل منبر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الشام محتجًّا بأنه لا يجوز تركه كما لا يجوز ترك عصا الرسول بالمدينة بين قتلة عثمان ،

---

(١) البداية والنهاية / جـ ٨ / ص ٩١

(٢) ابن عساكر / جـ ٧ / ص ٤٠٢

(٣) Memoire Historique sur la vie D'Abd Allah Benzobair p. 62.

وطلب معاوية العصا من سعد القرظ وحرك المنبر فكسفت الشمس فيما يروى حتى رؤيت النجوم بادية فأعظم الناس ذلك فتركه ، وكان إحساس الناس فى الحجاز بهذه الحادثة سيئاً وشعر معاوية بخطئه فاعتذر بأن زاد فى المنبر ست درجات(١) .

وراح ابن الزبير يفيد من أخطاء معاوية على هذه الشاكلة موحيا إلى الناس بأن يقارنوا بين مظاهر الملك والترف التى استحدثها معاوية ، والبساطة والصلاح والتقوى التى بدا عليها هو فى المدينة.وفى الوقت الذى اضطهد فيه معاوية شيعة علىّ وكان يلعنه من فوق المنابر ، كان ابن الزبير يصادق الحسين ويحرص على ملازمته .

وكان أخشى ما يخشاه معاوية على الخلافة الأموية من بعده تلك الطائفة من أبناء كبار الصحابة فى المدينة ، وقد التف الناس من حولهم ، وكان ابن الزبير لا يظهر أملا فى الخلافة طالما كان الحسين بن علىّ موجوداً ، وقد أخذ معاوية يغدق على تلك الطائفة ، ويقضى حوائجها متغافلا عن كل أذى يأتيه من قبلها(٢) . ولم يكن أحد منهم يلقى من معاوية كما كان يلقى ابن الزبير ، فعامله معاملة خاصة بعد أن أمن الحسن الذى تنازل مختاراً عن الخلافة والتزم بموقفه أخوه الحسين فحفظ لهما معاوية هذا الصنيع ، ولم يريا فى عهده سوءاً(٣) وكان معاوية يلقى عبد الله مرحباً بابن عمة رسول الله وابن حواريه ، وكثيراً ما كان يمنحه مائة ألف درهم(٤) .

وكأنما رأى معاوية إخفاق سلاح المال فى استمالة عبد الله فرغب فى إخراجه من مكمنه بالإقناع والجدل والمناظرة ، ويصف ابن عبد ربه مجلساً من تلك

(١) النجوم الزاهرة / ج ١ / ص ١٣٨ — ١٣٩

(٢) تاريخ الفخرى / ص ٩٢

(٣) الأخبار الطوال / ٢٣٨

(٤) تاريخ ابن عساكر / ج ٧ / ١٩٨

المجالس التى ضمتهما لهذا الهدف ونافح كل منهما فيها عن حقه وشرفه وفخر على الآخر بمجده [١] .

ورسخ فى اعتقاد معاوية أنه ثعلب رواغ يدخل من جحر ويخرج من جحر آخر [٢] ولهذا لجأ إلى الإيقاع بينه وبين الحسين أكثر من مرة [٣] وكان مطمئناً إلى أن عبد الله لم يكن ليرفع عينيه إلى الخلافة طالما كان الحسين على قيد الحياة[٤] .

وكأنما أراد معاوية وهو ينظر إلى المستقبل ويعد يزيد للنهوض بأمر الخلافة أن يعقد بينه وبين عبد الله ما يشبه الصداقة أو الألفة أو أن يترك لابنه فرصة يمارس فيها منافسيه فى المستقبل ، وربما كان لهذا الغرض ما حرص عليه من إشراك ابن الزبير فى غزو القسطنطينية تحت قيادة يزيد ٥٠ هـ . ولكن معاوية يأمر برفع الحصار وقد أحس بدنو أجله ويتجه إلى العمل من أجل توطيد الأمر لولده بينما كان عبد الله يترقب وفاته ليعود الأمر شورى كما جرى بذلك الصلح بينه وبين الحسن عام الجماعة .

وأراد معاوية أن يستطلع رأى أهل الحجاز فيما هو مقدم عليه ، وبعد أن ضمن له المغيرة الكوفة وتردد زياد طالباً التروى فى الأمر [٥] وتظاهر معاوية بالحج واجتمع فى سنة ٥٠ هـ بتلك الطائفة من أبناء كبار الصحابة باستثناء الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية .

وكان عبد الله بن الزبير لسان هذه الطائفة الناطق ، المعارض لما طرحه معاوية [٦] وأرجأ معاوية الأمر إلى أن توفى الحسن بن على [٧] فخلا له

---

(١) العقد الفريد / جـ ٢ / ١١٦
(٢) ابن عساكر / جـ ٧ / ٤٤
(٣) ابن عساكر / جـ ٧ / ٤٤
(٤) The Caliphate, p. 386
(٥) الطبرى / جـ ٦ / ص ١٦٩ — ١٧٠
(٦) الإمامة والسياسة / جـ ١ / ص ١٢٦
(٧) الإمامة والسياسة / جـ ١ / ١٢٧

الجو وبادر بأخذ البيعة ليزيد فى الشام وكتب ببيعته إلى الأمصار ثم رغب فى ا لحصول على بيعة أهل الحجاز .

ولم يكد مروان بن الحكم والى معاوية فى المدينة يطلب إلى أهلها البيعة ليزيد حتى ثارت هذه الطائفة فى وجهه ، وعمدت إلى معارضة المشروع والعمل على القضاء عليه فقال له ابن أبى بكر : أتريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل[١] .

وأبلغ مروان خليفته بالأمر فكان جزاؤه العزل وولى بدله سعيد بن العاص ولم يفت على معاوية أن تهاون مروان إنما كان لأنه نفسه يطمع فى الأمر . ورأى سعيد أن يأخذ الناس بالحزم والشدة حتى لا يكون مصيره كمروان فاستجاب له كثير من الناس مكرهين ولم يستعص عليه غير بنى هاشم .

ويبدو فى كتاب سعيد إلى معاوية أن ابن الزبير هو الذى قاد حركة المعارضة فى المدينة ضد مشروع البيعة ليزيد فقد جاء فيه : وأما الذى جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك فى هذا [٢] .

وانتهز معاوية موسم الحج ليأخذ بنفسه البيعة من المعارضين ، وقبل أن يبدأ رحلته بعث برسائل إلى أبناء الصحابة وطلب من واليه أن يتولى إرسال ردودهم إليه ، وكان كتاب معاوية إلى ابن الزبير متميزاً عن بقية الكتب إذ كان شعراً خالصاً ، وكأنما أراد أن يبلغ موضع التأثير من نفسه لما يعلمه عنه من فصاحته وبلاغته ، واشتمل الكتاب على تحذير من مغبة المعارضة واللؤم والغش ، وكان رد ابن الزبير شعراً أيضاً ، وأنكر فيه على معاوية ما حذره به ، وزاد فتوعده بأنه سيلقى أسداً فى عرينه [٣] .

---

(١) ابن الأثير / ج ٣ / ص ٢١٦
(٢) الإمامة والسياسة / ج ١ / ص ١٢٩
(٣) الإمامة والسياسة / ج ١ / ص ١٣٠

وعند قدومه إلى المدينة عمد معاوية إلى الشدة مع هؤلاء الرهط من أبناء الصحابة المتأبين عليه وأساء لقاءهم وسبّهم وكان أشد تحاملا على عبد الله ابن الزبير، فاستقبله « بلا مرحباً ولا أهلا خب ضب تلعة يدخل رأسه، ويضرب بذنبه، ويوشك بالله أن يؤخذ بذنبه، ويدق ظهره»[١]. ورفض أن يستقبلهم فرحلوا عن المدينة إلى مكة وقصد معاوية إلى السيدة عائشة فشكا إليها أبناء الصحابة ولكنها أوصته بأن يعاملهم برفق فوعدها بذلك، وولى وجهه نحو مكة حيث التقى بهم وأحسن لقاءهم ووصلهم، ولكن هذه الوسائل جميعاً لم تجد معهم فتيلا وصارحوه برأيهم وتولى ابن الزبير التعبير عن هذا الرأى، فخير معاوية بين ثلاث : أن يصنع كما صنع رسول الله أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر فحسب [٢] حينئذ شمر معاوية عن ساعد الحزم وأمر منادياً بأن ينادى فى الناس ليجتمعوا بالمسجد فتوافدوا وأقام حرسيا على رأس كل رجل من أبناء الصحابة وأوصى صاحب حرسه أن يضرب أى رجل منهم يرد على كلمة بتصديق أو تكذيب، وصعد المنبر فأخبر الناس بأن أبناء الصحابة قد رضوا وبايعوا ليزيد ثم طلب البيعة من الناس فبايعوا جميعا، وقد لام الناس أبناء الصحابة ولكنهم اعتذروا إليهم بأن معاوية كاد لهم وأرغمهم واستطاع معاوية أن يترضى سعيد بن عثمان بن عفان ومروان بن الحكم [٣].

وطوى ابن الزبير كشحاً على مستكنة وانتظر، فقد كان هذا الذى استحدثه معاوية من البيعة لابنه وهو لا يزال على قيد الحياة أمراً لم يألفه العرب ولن يألفوه بسهولة فقد كان حقًّا ما قاله المغيرة بن شعبة من أنه وضع رجل معاوية فى غرز بعيد الغى على أمة محمد وفتق عليهم فتقاً لا يرتق أبدا، وعلى الرغم من نجاح معاوية فى أخذ البيعة ليزيد من رءوس الناس فى الحجاز فإنه كان لا يزال يخشى ثلاثة من قريش على ابنه أو فى الحقيقة كان أخشى ما يخشاه منهم هو عبدالله

---

(١) ابن الأثير / جـ ٣ / ٢١٦ — ٢١٧

(٢) ابن الأثير / جـ ٣ / ص ٢١٧

(٣) الإمامة والسياسة / جـ ١ / ١٢٨

ابن الزبير فقد كتب فى وصيته ليزيد « يا بنى .. إنى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الأعداء وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، وإننى لست أخاف من قريش إلا ثلاثة : الحسين ابن علىّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين فليس ملتمسا شيئا قبلك ، وأما الحسين بن علىّ فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وإن له رحما ماسة وحقًّا عظيماً وقرابة من محمد صلى الله عليه وسلم ولا أظن أهل العراق تاركينه حتى يخرجوه فإن قدرت عليه فاصفح عنه ، وأما الذى يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته الفرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك وظفرت به فقطعه إربا إربا[١] .

وبعد أن آل الأمر ليزيد بوفاة معاوية لم يكن ليزيد همة إلا بيعة هؤلاء النفر من أبناء الصحابة[٢] فكتب إلى واليه بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبى سفيان كتابين يسيل أولهما لينا وتسامحاً يبلغه فيه بوفاة معاوية ويطلب منه أن يأخذ له البيعة من أهل المدينة ومن أبناء الصحابة خاصة وفيه يقول بعد كلام طيب عن هؤلاء « وليكن أول من يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين بن على ، وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وليحلفوا لك على ذلك بجميع الأيمان اللازمة [٣] » أما الكتاب الثانى فعلى خلاف الكتاب الأول عنفاً وشدة ، وربما كان يرمى إلى أن يذيع واليه الكتاب الأول فى الناس على أن يكون الكتاب الثانى مشتملا على ما يريد أن يسره لواليه مما لا يستطيع الجهر به للناس فهو يقول فيه « أما بعد ، فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام [٤] » وأطلع الوليد بن عقبة — الذى ذهل لخبر وفاة معاوية — شيخ بنى أمية فى المدينة

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٣
(٢) الإخبار الطوال / ص ٢٤٠
(٣) الأخبار الطوال / ص ٢٤٠
(٤) الأخبار الطوال / ص ٢٤٠

مروان بن الحكم على الكتابين واستشاره فيما يجب أن يكون فأشار عليه بأن يدعوهم الساعة ويأمرهم بالبيعة فإن فعلوا قبل منهم وكف عنهم وإن أبوا ضرب أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية حتى لا يظهروا خلافا(١) .

وبعث الوليد إلى الحسين وابن الزبير يستدعيهما ، واستطاعا أن يتكهنا بما يمكن أن يكون وراء هذه الدعوة واتفقا على أن يذهب الحسين إلى دار الوالى يستطلع الأمر ولكنه خشى أن تكون هناك مكيدة فاصطحب نفراً من بنى هاشم انتظروه بالباب على أن ينجدوه إذا استغاث بهم ، ولما دخل الحسين على الوليد قرأ عليه الكتاب ونعى إليه معاوية ودعاه إلى بيعة يزيد وأجاب الحسين بأن مثله لا يبايع سرًّا ووعده إذا خرج إلى الناس ودعاهم للبيعة أن يدخل فيما دخل فيه الناس(٢) .

وأخلى الوليد سبيل الحسين على الرغم من لوم مروان له على تضييع هذه الفرصة فقد كان فى إمكانه أن يحبسه أو يقتله (٣) ، وكان ابن الزبير عندما جاءه رسول الوليد قد وعد بالحضور إليه ولكنه كمن فى داره متحرزاً بأصحابه وأنصاره فلما كثر عليه الطلب بعث أخاه جعفر بن الزبير إلى الوليد يخبره أن عبد الله استراب من كثرة الطلب والإرسال وتتابع الرجال ورجاه أن يكف عن أخيه فقد أفزعه وأنه سيأتيه غدا (٤) .

وفى نفس المساء خرج عبد الله وأخوه جعفر وتجنبا الطرق المعتادة قاصدين مكة وأخفق رجال الوليد فى تتبعهما ، ثم شغل عنهما بالحسين الذى توالت عليه رسله تستدعيه إلا أنه سرعان ما لحق بابن الزبير ولم يجد الوليد أمامه من أبناء الصحابة غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس فبايعا كما بايع سائر الناس(٥)

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٦
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٦
(٣) البداية والنهاية / ج ٨ / ص ١٤٧
(٤) الطبرى / ج ٤ / ص ٢٥٢
(٥) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٧

٢

وفى مكة وجد ابن الزبير أمناً افتقده فى المدينة وفرصة ليكتسب عطف المسلمين وتأييدهم حينما أعلن أنه عائذ بالبيت [١] وخشى عمرو بن سعيد ابن العاص ما حل بسلفه الوليد بن عقبة نتيجة تساهله مع الحسين وابن الزبير فرأى أن يتبع سياسة عنيفة معهما ، ووجد فى عمرو بن الزبير شقيق عبد الله عوناً على ذلك فولاه شرطته وأخذ عمرو بن الزبير يضطهد من كان على هوى أخيه من أهل المدينة وكان ممن نالهم أذاه أخوه المنذر بن الزبير ومحمد ابنه [٢]

ولم يكن هذا ليثنى ابن الزبير عما قرر المضى فيه ، وأخذ يثير على يزيد وواليه حتى منع نائب الوالى فى مكة من أن يصلى بالناس [٣] وكان نتيجة ذلك أن غضب يزيد وأقسم ألا يقبل بيعة عبد الله بن الزبير إلا إذا أتى إليه « وفى عنقه جامعة من فضة » ، وأراد عمرو بن سعيد أن ينال الحظوة عند يزيد بأن يقبض على ابن الزبير ويرسله إلى دمشق على الصورة التى أرادها يزيد ، وأصر عمرو بن الزبير على أن يقاتله فى جوف الكعبة على رغم أنف من رغم ، وقد حاول أبو شريح الخزاعى أن يمنع غزو ابن الزبير فى مكة التى أذن للنبى صلى الله عليه وسلم بالقتال فيها ساعة من نهار ثم عادت كحرمتها بالأمس فقال له عمرو نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ [٤] .

ومضى عمرو بن الزبير فى مقدمة ألفى رجل قاصداً أخاه فى مكة غير عابئ بحرمة البيت الحرام أو بعاطفة الأخوة وسبقه إلى أخيه كتاب منه يقول « بر بيمين الخليفة واجعل فى عنقك جامعة من فضة لا ترى ولا يضرب الناس بعضهم

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٧
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٨
(٣) البداية والنهاية / ج ٨ / ص ١٤٩
(٤) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٨

بعضاً واتق الله فإنك فى بلد حرام[١] » .

ولكن عبد الله لم يصغ إلى شىء من ذلك ونجح هو وأنصاره فى هزيمة جيش عمرو وقبض على أخيه وأودع السجن ، ولكن ابن الزبير على الرغم من هذا الانتصار الذى طير اسمه فى الحجاز وجمع إليه الساخطين على يزيد لم يكن ليغفل حقيقة هامة وهى وجود منافس خطير له هو الحسين بن علىّ الذى يزيد عنه فى الاستحواذ على قلوب الناس . يقول ابن كثير « انتصر ابن الزبير على من أراد هلاكه من الزيديين ، وضرب أخاه عمراً وسجنه واقتص منه وأهانه وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز فاشتهر أمره وبعد صيته ، ومع هذا كله ليس هو معظما عند الناس مثل الحسين بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين لأنه السيد الكبير وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه[٢] . وقد واتت ابن الزبير الفرصة عندما استخرج أهل الكوفة الحسين وخذلوه وقتله أعوان ابن زياد فى كربلاء ، فأفاد عبد الله من السخط الذى شمل المسلمين وأثار مشاعرهم بعد هذه الفاجعة فأخذ يغذى هذا السخط بخطبه وأحاديثه التى تنعى على يزيد الغدر بالحسين وتعرّض بلهوه وفسقه ، من مثل قوله فى هذا الصدد عن أهل العراق : إنهم دعوا الحسين لينصروه ويولوه عليهم فلما قدم عليهم ساروا إليه وقالوا له : « إما أن تضع يدك فى أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد .. ابن سمية سلما فيمضى فيك حكمه ، وإما أن تحارب فرأى والله إنه هو وأصحابه قليل فى كثير ، وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، وأخزى قاتل حسين لعمرى لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان فى مثله واعظ وناه عنه ، ولكنه ما حمّ نازل ، وإذا أراد الله أمراً لن يدفع ، أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهدا ؟ لا والله نراهم لذلك أهلا ، أما والله لقد قتلوه ،

---

(١) نفس الموضع

(٢) البداية والنهاية / جـ ٨ / ص ١٥٠

طويلا بالليل قيامه ، كثيراً فى النهار صيامه ، أحق بما هم فيه منهم وأولى به فى الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجلس فى حلق الذكر الركض فى تطلاب الصيد ، فسوف يلقون غياًّ »[١] .

ولكن ابن الزبير تمهل على الرغم من كل ذلك إذ كان عمرو بن سعيد يومئذ عامل مكة وكان أشد شيء عليه [٢] ورأى مروان بن الحكم ما فى إصرار يزيد على إرسال جامعة إلى ابن الزبير من سخف ، فردها بعد أن صرف ابن الزبير عامل البريد برفق . وعوّل ابن الزبير على أن يحظى ببيعة أبناء الصحابة وبخاصة ابن عمر ، وابن عباس ولم يستطع ابن عمر أن يتحلل من بيعته ليزيد على الرغم من محاولات ابن الزبير معه ومع زوجه ، فقد قال ابن عمر لزوجه وهى تحثه على مناصرة ابن الزبير « إنما خرج طمعا فى الدنيا وحدها » [٣] وكذلك أبى عليه ابن عباس مما أثلج صدر يزيد فأرسل يشكر ابن عباس ويستعينه على ابن الزبير ، ولكن ابن عباس رد عليه بأنه لم يفعل هذا من أجله ولا انتظاراً لحمده ووده وهو الذى قتل الحسين بن على [٤] ، ولم يرد يزيد غير أن يعزل عمرو بن سعيد بدسيسة من الوليد بن عقبة بحجة تهاونه مع ابن الزبير ، واستعاد الوليد مرة أخر وبلغ عمرو بن سعيد الشام ليدفع عن نفسه ويبسط الأمر ليزيد محتجاًّ باتساع خطر ابن الزبير ، وأن أهل الحجاز مائلون إليه راضون عنه ولم يكن لديه من الجند ما يواجهه به فآثر ملاينته انتهازاً لفرصة يثب فيها به .

وأراد الوليد أن يبزّ سلفه وأن يثبت بعد همته ووقف ابن الزبير على حماسته ووقع الوليد بين نارين نار ابن الزبير فى مكة ونار نجدة بن عامر الحنفى فى اليمامة

---

(١) الطبرى / ج ٦ / ص ٢٧٣
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٤٣
(٣) الأغانى / ج ١ / ص ١٣
(٤) تاريخ اليعقوبى / ج ٢ / ص ٢٢١

وهو وإن لم ينضو تحت لواء ابن الزبير فإنه لم يخالفه[١] .

ورأى ابن الزبير أن يمكر بيزيد وبالوليد فأرسل إلى الخليفة « إنك بعثت إلينا رجلا أخرق لا يتجه لأمر رشد ، ولا يرعوى لعظة الحكيم ، ولو بعثت إلينا رجلا سهل الخلق لين الكتف رجوت أن يسهل من الأمور ما وعر منها » . فسرعان ما عزل الوليد وولى يزيد بدلا منه عثمان بن محمد بن أبى سفيان . وهو فتى غر حدث لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن ولا يكاد ينظر فى شىء من سلطانه وأعماله [٢] وبدأ الوالى الجديد بأن أرسل وفداً من أشراف الأنصار والمهاجرة إلى الخليفة بدمشق ظنًّا منه أنهم يعودون بعد أن يكرم يزيد وفادتهم فيكونون ألسنة داعية ليزيد ومناهضة لابن الزبير ، وعلى الرغم من مبالغة يزيد فى إكرامهم فقد عادوا يشهّرون به وبفسقه ومجونه وملاعبة الكلاب ومسامرة الخرّاب وزادوا بأن أشهدوا الناس على أنهم خلعوه [٣] .

وأيضاً لم تجد سفارة النعمان بن بشير إلى المدينة إذ أصمّ أهلها آذانهم عن دعاته فعاد إلى دمشق مخفقاً ولم تجد كذلك رسائل يزيد التى كتب بها إلى واليه وأمره أن يقرأها على الناس وكان منها رسالة وعيد تنتهى بهذه الكلمات : « فوالله لئن وضعتكم تحت قدمىّ لأطأنّكم وطأة أقيل بها عدوكم وأترككم أحاديث تنسخ أخباركم مع أخبار عاد وثمود » ولم يكد أهل المدينة يسمعون هذا التّهديد حتّى انهالوا على الوالى والخليفة معاً سبًّا مقذعاً ، فصاروا يخلعون عمائمهم ويخلعون معها يزيد حتّى استفحل الأمر وثاروا بالوالى وطردوه ، واتسعت ثورة الغضب فشملت بنى أمية - بيعاً فى المدينة وكان عددهم ألف رجل لاذوا بمروان بن الحكم الذى بعث يستنجد بالخليفة ، ولكن أهل المدينة صمّموا بإزاء ذلك على طرد بنى أمية من بلدهم ، فخرجوا بعد أن أخذوا عليهم المواثيق بألا يدلوا على عوراتهم وخرج وراءهم الصبيان والسفهاء يحصبونهم بالحجارة .

وقرأ يزيد رسالة مروان بن الحكم فسخر من بنى أمية الذين لم يقاوموا ،

---

(١) البداية والنهاية / جـ ٨ / ص ٢١٥
(٢) ابن الأثير / جـ ٤ / ص ٤٤
(٣) ابن الأثير / جـ ٤ / ص ٤٥

وأنفذ جيشاً من اثنى عشر ألفاً من كلب بقيادة مسلم بن عقبة المرّى بعد أن رفض عمرو بن سعيد القيام بهذه المهمة(١) وكذلك رفضها ابن زياد(٢) . والتقى مسلم ببنى أمية فى الطريق عند وادى القرى وتحلل عبد الملك بن مروان من الميثاق الذى أعطاه أبوه لأهل المدينة ودل مسلما على عورات أهل المدينة ونصحه ووضعا معا خطة لاقتحام المدينة ، وقدم مسلم إلى المدينة فأمهل أهلها ثلاثة أيام ثم سألهم عما عزموا عليه فأعلنوا إصرارهم على القتال ، وكانوا قد خندقوا واستعدوا وأبدى أهل الشام تحرجاً فى قتال إخوانهم من المسلمين ولكن مسلما أثارهم وتمكن من أن ينزل الهزيمة بأهل المدينة ولم يكتف بذلك وإنما أباح المدينة ثلاثة أيام أنزل فيها بهم من أعمال العنف والقسوة والتنكيل والنهب والإحراق والاعتداء ما لقب من أجله بالمسرف(٣) .

وفقدت المدينة فى هذه الوقعة ثمانين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه حتى لم يبق بها بدرى ، كما فقدت سبعمائة من قريش والأنصار وعشرة آلاف من سائر الناس ، ثم دعا مسلم الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خول له يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم كيف شاء فمن امتنع عن ذلك قتله(٤) ثم استخلف مسلم على المدينة روح بن زنباع الجذامى ومضى إلى مكة ليلقى ابن الزبير وكان مسلم رجلا مسنًّا مريضاً فشعر فى الطريق بدنو أجله وفكر فى أن يعهد بأمر الجيش إلى أحد أمرائه فدعا إليه الحصين بن نمير وكلفه بالأمر من بعده .

وتجهز ابن الزبير وتحصن فى الكعبة وأحكم الدفاع عن مكة وشمل السخط المسلمين جميعاً بعد وقعة الحرة مما حدا بجماعات متباينة من المسلمين إلى أن تقرر الذود عن الكعبة جنباً إلى جنب مع ابن الزبير ، فقدم الناجون من أهل

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ٤٨
(٢) الفخرى / ص ١٠١
(٣) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٥٥
(٤) الطبرى / ج ٧ / ص ٥ — ١٢

المدينة وكثير من الخوارج وبعض الشيعة بقيادة المختار بن عبيد الثقفى ، وكذلك أرسل النجاشى جماعة من الحبش للدفع عن الكعبة وأعان ابن الزبير بهم ، فضمهم عبد الله إلى أخيه مصعب فكانوا يقاتلون معه واستمر القتال أياما من المحرم وشهر صفر كله إلى أن مضت ثلاثة أيام من ربيع الأول سنة ٦٤ ﻫ فرمى الحصين بن نمير بيت الله الحرام بالمجانيق وحرّقه أهل الشام بالنار [١] .

وكان عبد الله بن عمير الليثى قاضى ابن الزبير يصعد عندما يتوقف القتال فوق الكعبة فينادى بأعلى صوته : « يا أهل الشام هذا حرم الله الذى كان مأمناً فى الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد فاتقوا الله يا أهل الشام » فيصيح جند الشام : الطاعة الطاعة الكرّة الكرّة الرواح قبل المساء ، وما لبثت أن اشتعلت النيران فى الكعبة [٢] .

وفى الرابع عشر من ربيع الأول توفى يزيد بن معاوية وقد علم عبد الله ابن الزبير بالنبأ قبل أن يعلم به الجيش الأموى فناداهم : « علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم » ولم يصدقه الحصين حتى أتاه نعى يزيد فاتفق مع ابن الزبير على عقد مؤتمر فى الأبطح . والتقى ابن الزبير والحصين وكل منهما على صهوة جواده فراث فرس الحصين وجاء حمام الحرم يلتقط من روث الفرس فكف الحصين فرسه عن الحمام قائلا : أخاف أن يقتل فرسى حمام الحرم فقال ابن الزبير : تتحرجون من هذا وأنتم تقتلون المسلمين فى الحرم ؟ وبدأت المفاوضات فعرض الحصين على ابن الزبير الخلافة على أن يخرج معه إلى دمشق حيث يتولاها هناك ولكنه أبى [٣] .

وقد عاب كثير من المؤرخين على ابن الزبير إباءه ظانين أنه لو خرج إلى الشام ما اختلف عليه أحد ، ولكن الحقيقة أن ابن الزبير لم يكن لينال شيئاً فى الشام ، ولم يكن بنو أمية هناك ليدعوه ينتزع من أيديهم السلطان ،

---

(١) الطبرى / ج ٧ / ص ١٠٢
(٢) اليعقوبى / ج ٢ / ص ٢٢٤
(٣) ابن الأثير / ج ٤ / ص ٥٥

ولم يكن ابن الزبير ليأمن غدر هؤلاء الذين أحرقوا بيت الله وقتلوا الآمنين وأفزعوهم فضلا عن أنه كان يغفل عاملا له خطره وهو السبب فى ازورار القرشيين عن علىّ بن أبى طالب عندما نقل عاصمة الدولة من الحجاز إلى الكوفة ، بل إن كثيراً من المؤرخين يذهبون إلى أن ثورة الحجاز لعهد ابن الزبير لم تكن إلا من أجل استعادة العاصمة القديمة للدولة ما كان لها من السيادة (١) .

وخلف يزيد معاوية ابنه ولم يتجاوز الثامنة عشرة وكان شابًّا زاهداً صالحاً يرى أن جده معاوية سلب حق علىّ بن أبى طالب ، وأن أباه لم يكن كفئاً لما تولى من أمر المسلمين ، وقد صرح بذلك من فوق منبر دمشق فقال : «أيها الناس إن جدى معاوية نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علىّ بن أبى طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتت منيته فصار فى قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياه، ثم قلد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل وصار فى قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه» وبكى واستعبر حتى سالت دموعه على خديه وقال « وإن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبأس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح المحرم وضرب الكعبة وما أنا بالمتقلد ، ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم وأمركم ، والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد نلنا منها حظًّا ، ولئن كانت شرًّا فكفى ذرية أبى سفيان ما أصابوا منها » ورفض أن يولى أخاه خالداً أو يعهد إلى أحد ولزم بيته فمات بعد أيام (٢) .

وكان هذا معينا لابن الزبير على ألا يلقى معارضة تذكر من غير الأمويين ، وقد أشعر معاوية بن يزيد بنى أمية بحرج موقفهم فخشوا أن ينتهز ابن الزبير الفرصة لتحقيق أغراضه وألحوا على معاوية بن يزيد فى الأيام التى سبقت وفاته أن يعهد لكنه أبى ذلك فغضبوا عليه ، ويرى بعض المؤرخين أن معاوية

(١) فلهوزن / تاريخ الدولة العربية / ص ١٦٠
(٢) النجوم الزاهرة / جـ ١ / ص ١٦٤

قد لا يكون مات ميتة طبيعية لهذا السبب [١] .

وانشق الأمويون على أنفسهم واتسع نطاق الدعوة لابن الزبير فى الحجاز والعراق واليمن ومصر كما انضم إليه فريق من أهل الشام وأهل مكة والمدينة جميعاً ما عدا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية فقد كانا يريان أن بنى هاشم أحق منه بالخلافة كما دخل أهل الكوفة فى طاعته ، وكان أهل البصرة قد أعطوا عبيد الله بن زياد بيعة مؤقتة فقام بسلطات نائب الخليفة بعد موت يزيد [٢] فرأوا مبايعة ابن الزبير خلاصاً من بنى أمية فمسحوا بأيديهم فى حيطان المسجد بعد أن أجابوا رسول ابن الزبير إلى ما طلب قائلين : أيظن ابن مرجانة أننا ننقاد له فى الجماعة والفرقة [٣] .

وبدأ أهل البصرة يستهينون به ويحصبونه على المنبر ويسبونه [٤] ولم يكن يجمعهم على طاعته آنذاك إلا الخوف من خطر الخوارج [٥] ولكنهم لم يجدوا مناصا من طرده فهرب ناجيا بحياته إلى الشام [٦] على أن خروجه لم يقض على المتاعب إذ اشتعلت نيران العصبية بين مضر واليمن حتى اتفقوا على اختيار عبد الله بن الحارث ولكن الأمر لم يهدأ ، ففى خلال ستة أشهر أقاموا عليهم أربعة أمراء ولم تجد البصرة خلاصاً من كل هذا الاضطراب إلا فى أن تجيب سلمة بن حنظلة إلى مبايعة ابن الزبير [٧] وكتبوا إليه بهذا وسألوه أن يوجه إليهم رجلا من قبله يتولى أمور البصرة ويتصدى للخوارج ووقع اتفاقهم على المهلب ، ولكن سيطرة ابن الزبير لم تستقر فى البصرة إلا عندما بعث بأخيه مصعب والياً عليها . وأرسل ابن الزبير إلى الكوفة رجلا يدعو باسمه فما كاد يفد إليها حتى

---

(١) البداية والنهاية / جـ ٨ / ص ٣٣٧
(٢) الأخبار الطوال / ص ٢٧٩
(٣) ابن الأثير / جـ ٤ / ص ٥٦
(٤) الإمامة والسياسة / جـ ٢ / ص ١٩
(٥) الأخبار الطوال / ص ٢٧٩
(٦) الطبرى / جـ ٧ / ص ٢١
(٧) الطبرى / جـ ٧ / ص ٢٣

وضع في السجن، ولكن الكوفيين ما لبثوا أن ضاقوا بعمرو بن سعد بن أبي وقاص الذى ألهب بكاء النساء المشاعر ضده فعزلوه وقام خطيبهم ليعلن : « ألا حاجة لنا من بنى أمية ولا من ابن مرجانة ، إنما البيعة لأهل الحجاز » [١] واختاروا عامر بن مسعود وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأقره وظل والياً على الكوفة حتى عزله وولى مكانه عبد الله بن يزيد .

وكذلك فعل المصريون فسارعوا إلى بيعة ابن الزبير وكان أسرعهم إلى ذلك من يدينون بمبدأ الخوارج [٢] وبعث إليهم ابن الزبير عبد الرحمن بن عتبة ابن جحدم الفهرى ورحل معه إلى مصر بعض الخوارج الذين عاونوا ابن الزبير فى الدفاع عن الكعبة فأظهروا الدعوة له ودعوا إلى بيعته فتابعهم الناس وأصبحت مصر منذ ذلك الحين ولاية تابعة لابن الزبير [٣] .

وكذلك بايع الشام كله لابن الزبير ما عدا الأردن واستخلف ابن الزبير على أهل الشام الضحاك بن قيس الفهرى [٤] ، وبايع النعمان بن بشير لابن الزبير ، وكذلك بايع ناتل بن قيس الجذامى له فى فلسطين بعد أن أخرج منها روح بن زنباع الجذامى ، وأعلنت بلاد اليمن وخراسان والجزيرة طاعتها لابن الزبير [٥] .

وأرضى ابن الزبير مشاعر أهل المدينة فطرد عنها بنى أمية وأولادهم ونساءهم فرحلوا إلى الشام وكان على رأسهم شيخهم مروان بن الحكم ، وقد أخطأ ابن الزبير فى هذا التصرف ولم يكن يعلم أنه إنما يطلق بيده أخطر ما سيتهدده فى المستقبل القريب إذ أخذ بنو أمية المطرودون من المدينة يدفعون بمروان وينفخون فيه ليصير قادراً على منافسة ابن الزبير .

---

(١) مروج الذهب / ج ٣ / ٣١
(٢) الولاة والقضاة / ص ٤٠
(٣) النجوم الزاهرة / ج ١ / ص ١٦٥
(٤) العقد الفريد / ج ٣ / ص ١٤٥
(٥) البداية والنهاية / ج ٨ / ص ٢٣٩

وأوشك ابن الزبير أن يبسط سلطانه على الأمصار الإسلامية كلها حتى ليقال إن مروان بن الحكم نتيجة لذلك هم بأن يبايعه لولا أن منعه عبيد الله ابن زياد [١] وقد رأى ابن الزبير أن يعتمد على قيس ما دامت كلب هي التي تقود المعارضة ضد نفوذه فى الشام ، وكان ابن الزبير يعلم مدى ما بين قيس وكلب من العصبية التى أثمرها تقريب معاوية وابنه لكلب مما أثار حفيظة قيس وأحقادها ، وقد كان الرجل الذى عهد إليه ابن الزبير بتلقى بيعته فى الشام من سادة قيس وهو الضحاك الفهرى يطمع فى الأمر لنفسه فآثر أن يتخذ من الدعوة لابن الزبير سلما يرقى به إلى السلطان ، وقد نجح الضحاك فى بسط نفوذ ابن الزبير على الشام كله ما عدا الأردن ، فقد كان الإقليم الوحيد بالشام الذى أخلص لبنى أمية فلم يبايع للزبير ، ذلك أن حسان بن مالك بن بحدل الكلبى خال يزيد من معاوية ، وكان عاملا لمعاوية ثم ليزيد ، قاد حركة المعارضة ضد الزبير من هناك وسار إلى الأردن مستخلفاً على فلسطين روح بن زنباع الجذامى حيث طرده منها ناتل بن قيس وبايع لابن الزبير وكذلك وثبت قيس بابنه سعيد بن حسان فى قنسرين فطردته منها برئاسة زفر بن الحارث الكلابى [٢] وكان زفر زبيرى الهوى فتبعته قيس هناك فى ولائه للزبيريين . وقد راح حسان يدعو أهل الأردن إلى طاعة بنى أمية ونبذ طاعة ابن الزبير وبايعه أهل الأردن على شروط هى أن يجنبهم هذين الغلامين ابنى يزيد عبد الله وخالدا لأنهم كرهوا أن يأتيهم الناس بشيخ وأن يأتوهم بصبى [٣] .

وهكذا انقسم أهل الشام فيما بينهم ، فريق يؤيد ابن الزبير ، وفريق استمر على ولائه للدولة الأموية ، واتسعت شقة الخلاف حتى تضارب الناس فى المسجد فبينما تدعو قيس لابن الزبير ونصرة الضحاك كانت كلب تدعو إلى بنى أمية على خلاف بينهم ، فقوم يدعون لمروان وآخرون لخالد بن يزيد ، وأدركهم

(١) الطبرى / ج ٧ ص ٣٤ ، العقد الفريد / ج ٣ / ص ١٤٥
(٢) الأغانى / ج ١٧ / ص ١١١
(٣) ابن الأثير / ج ٤ / ٦١ – ٦٢

الحصين بن نمير عائداً من غزو الكعبة فحذرهم وأنذرهم ونصحهم بأن يقيموا أميرهم قبل أن يختلط عليهم أمرهم فتكون فتنة عمياء صماء [١] .

وعقد الأمويون مؤتمراً فى الجابية يتداولون فيه الموقف ليختاروا من يولونه الخلافة الأموية ، حتى يقاوم ابن الزبير ، وفى المؤتمر الذى عقد فى ذى القعدة من سنة ٦٤ هـ ، انتهى خلاف الأمويين باقتناع حسان بن بحدل الوصى على أبناء يزيد بمبايعة مروان بن الحكم على أن تكون الخلافة من بعده لخالد ابن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص واجتمع الناس على ذلك وخرج مروان ابن الحكم إلى مرج راهط ومعه كلب . وكان الضحاك آنذاك قد أخذ يدعو لنفسه فقضى على مكانته فى قلوب أنصاره . وعنّ للضحاك أن يشترك فى مؤتمر الجابية عسى أن يكون له من الأمر شىء فأرسل إلى بنى أمية يعتذر عما بدر منه آنفاً ثم رحل إلى الجابية [٢] .

وأثناء ذلك هجم يزيد بن أبى النمس الغسانى على دمشق فأخرج عامل الضحاك عنها ، وأخذ بيت المال وأمد به مروان وجهز الرجال ونشبت الموقعة فى مرج راهط بين القيسيين والكلبيين واستمر القتال عشرين يوما وانتهى بهزيمة قيس وقتل الضحاك بن قيس ومعه كثير من أشراف قبيلته [٣] .

وعلى الرغم من انتهاء مرج راهط بنصر الأمويين فإنها فى الوقت نفسه كانت عاملا من عوامل زعزعة ملكهم ، فإن قيسا لم تكن لتسكت ، وكان لا بد لها أن تثأر لقتلاها ، وكانت نتيجة مرج راهط المباشرة أن خلص الشام لمروان ابن الحكم وفقد الزبير كل نفوذ له فيه ، وقتل النعمان بن بشير عامله على حمص واسترد الأمويون المدينة وهرب زفر بن الحارث الكلابى من قنسرين كما هرب ناتل بن قيس من فلسطين ؛ ولكن قبائل قيس ثبتت على ضفاف الفرات على عنادها برئاسة زفر بن الحارث وعاد الموقف شبيها بما كان عليه بعد مقتل عثمان إذ وقفت الشام وحدها أمام جميع الأمصار الإسلامية بل إن الموقف كان أسوأ

---

(١) ابن الأثير / جـ ٢٤ / ٦١

(٢) الإمامة والسياسة / جـ ٢ / ص ١١

(٣) الطبرى / جـ ٧ ص ٣٤ — ٣٩

مما كان ، فلم يكن لمروان ثقة معاوية ولا حنكته .

وأخذ مروان يعد العدة لانتزاع هذه الأقاليم ، فجرد جيشاً بقيادته لطرد عبد الرحمن بن جحدم والى ابن الزبير فى مصر وسار ابنه عبد العزيز أمامه فى جيش إلى العقبة ، وآزر المصريون ابن جحدم فى حفر خندق حول الفسطاط فى شهر واحد ، ونزل مروان فى عين شمس واضطر ابن جحدم للخروج إليه فتحاربا فترة ثم رأيا أن يتهادنا حقناً للدماء واصطلحا على أن يقر مروان بن جحدم على ولاية مصر ، ودخل مروان الفسطاط فى غرة جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ ، وسرعان ما تحرر مروان من عهده لابن جحدم فعزله وفتح خزائنه وأعطى الناس فسارعوا إلى بيعته ، ولكن بعض المصريين تمسكوا بولائهم لابن الزبير ورفضوا مبايعة مروان فأقدم مروان على ضرب أعناقهم وكانوا ثمانين رجلا ، وقتل الأكدر بن حمام بن عامر بن صعب سيد لخم فسار زهاء ثلاثين ألفا من اللخميين مدججين بالسلاح حتى وقفوا بباب مروان ثائرين ، لولا أن توسط بعضهم فى الصلح وانصرف الثائرون ، وتصادف أن توفى فى ذلك اليوم الذى قتل فيه الأكدر عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع الناس أن يخرجوا به لتألب الجند على مروان فدفن فى داره[1] .

وأمضى مروان بمصر شهرين ثم غادرها فى رجب سنة ٦٥ هـ بعد أن وطد أمورها وأعادها ثانية إلى الحكم الأموى ، وولى عليها ابنه عبد العزيز وزوده بالنصائح الهامة ثم قفل راجعاً إلى الشام[2] .

وعند عودته إلى الشام علم بخبر إرسال ابن الزبير بأخيه مصعب على رأس جيش إلى فلسطين ليحافظ على النفوذ بها ، فوجه مروان إليه جيشاً بقيادة عمرو بن سعيد بن العاص أعاده على أعقابه[3] .

وكأنما أراد مروان أن يتخلص من عمرو بن سعيد فعهد إليه بهذه المهمة ،

---

(١) الولاة والقضاة : ص ٤٥ – ٤٦

(٢) مصر فى عهد الولاة : ص ٨٠

(٣) ابن الأثير : جـ ٤ ص ٦٥

ولكنه عاد منها ظافرا ، ويلاحظ نفس الأمر بالنسبة لعبيد الله بن زياد إذ وجهه مروان إثر عودته إلى الشام على رأس جيش إلى العراق الذى كان قد مزقه النزاع بين الأحزاب والعصبية على أن تكون له المناطق التى يفتحها ، وأمره بأن يقصد فى طريقه العراق أرض الجزيرة حيث زفر بن الحارث والقيسيون فى قرقيسيا[١] .

كما أرسل بجيش آخر إلى الحجاز ، وفى طريق ابن زياد إلى قرقيسيا علم بوفاة مروان وتولية عبد الملك الخلافة الأموية ، وبعث عبد الملك إلى ابن زياد يقره على ما ولاه عليه أبوه ، واضطر عبيد الله أن يشتغل بقتال زفر بن الحارث ومن معه من قيس نحوا من سنة . وكان التوابون أثناء ذلك بزعامة سليمان بن صرد قد خرجوا وعبيد الله لا يزال عند جسر منبج على الفرات ، فسار إليهم الحصين ابن نمير فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٥ هـ حيث حدثت مقتلة الشيعة فى عين الوردة .

وبعد أن أتم ابن زياد الصلح مع قيس سار إلى العراق من طريق الموصل ، وفى أثناء ذلك وثب المختار الثقفى بالكوفة بعد أن قاد فلول التوابين معلنا أنه سيثأر لمقتل الحسين من ابن زياد . وهزم ابن زياد جيشاً أرسله إليه المختار بعد قتال عنيف فى العاشر والحادى عشر من ذى الحجة سنة ٦٦ هـ ، ولكن ابن زياد لم يلبث أن انهزم أمام جيش ثان للشيعة بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر فى موقعة خازر مستهل سنة ٦٧ هـ . وقتل عبيد الله والحصين بن نمير وثأر المختار فى هذا اليوم لقتل الحسين كما استطاعت قيس أن تثأر من عبيد الله عندما انهزم عمير بن الحباب والقيسيون من خلفه منضمين إلى جيش إبراهيم بن الأشتر[٢] .

وهكذا كفى المختار الثقفى ابن الزبير مئونة لقاء الجيش الأموى ، ولم يكن عبد الملك يستطيع استئناف مهمة إخضاع العراق قبل مضى وقت طويل لاشتغاله بمشكلات فى الداخل منها توثب ناتل بن قيس بفلسطين من قبل

(١) البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢٦٠

(٢) تاريخ الدولة العربية : ص ١٨٢

ابن الزبير ، وخرق الروم للهدنة والقحط الذى حل بأرض الشام ، فضلا عن رغبة عبد الملك فى ألا يزعج أهل العراق بأكثر من ذلك وأن يترك عدويه هناك يقتتلان .

وكان امتناع ابن الحنفية وابن عباس عن البيعة لابن الزبير سبباً فى هجوم ابن الزبير على بنى هاشم وإبعاد ابن الحنفية إلى رضوى وابن عباس إلى الطائف حيث توفى بها سنة ٦٨ هـ .

ومرّ أن ابن الزبير آزر حركة التوابين نكاية فى بنى أمية فلم يتعرض واليه على الكوفة لقمعها وسالمها وأبدى استعداده لمحالفتها [١] ، ولكن عامل خراجه إبراهيم بن محمد بن طلحة أثار أهل الكوفة من حيث لا يدري وأفقد ابن الزبير ولاءهم ، ومهدت أخطاء إبراهيم للمختار أن يدعم قوته وأن يثب بالكوفة وأن يطرد منها عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير وأصبح المختار خطراً يتهدد نفوذ الزبيريين فى العراق وتفوق نشاط الحركة المختارية هناك على حركة الزبيريين إذ أغدق المختار على أهل العراق واستمال عمال ابن الزبير بالرشى ، كما حقق لشيعة أهل العراق ما وعد به من الثأر للحسين ، وأنصف الموالى وتقرب إلى الأشراف ، بينما كان ابن الزبير شحيحاً حذراً لم يتمتع بلباقة المختار فأضر بابن الحنفية وآذاه وسجنه فأتاح الفرصة للمختار أن يبدو نصيراً لآل هاشم ، ولقد بلغ المختار أوج انتصاره بعد وقعة خازر سنة ٦٧ هـ ولكن هذا الانتصار وإن سر ابن الزبير لأنه كسر حدة بنى أمية إلا أنه ألقى عليه عبئاً ثقيلا بضرورة مواجهة خطر المختار المتفاقم فى العراق وأصبح الصدام معه قدراً محتوماً ، ورأى ابن الزبير أن يبعث قائداً كفئاً لمواجهة المختار فعزل الحارث بن أبي ربيعة عن البصرة وبعث بأخيه مصعب بن الزبير والياً عليها ، وقدم مصعب إلى البصرة فاتجه إلى مسجدها وخطب خطبته الشهيرة التى لم يستخدم فيها غير آيات القرآن الكريم إلى ختامها حيث لقب نفسه فيها بالجزار [٢] .

---

(١) الطبرى : جـ ٧ ص ٥٤ ، وابن الأثير : جـ ٤ ص ٦٩

(٢) ابن الأثير : جـ ٤ ص ١١٢

وكان مسعد المصعب أن وقع الخلاف بين المختار وأشراف الكوفة فقدموا إليه يشكون المختار ويستنكرون سياسته ويطلبون قتاله ، وقاد مصعب جيشاً كبيراً بمعاونة المهلب ابن أبي صفرة ، واتجه إلى الكوفة حيث خاض معركة عنيفة عند حروراء مع قائد المختار أحمد بن شميط الذى قتل وانهزم جيشه بعد أن دس مصعب إليه عبد الرحمن بن مخنف ليثبط الناس فى الكوفة عن مؤازرة المختار(١) .

وفر المختار حيث اعتصم بالقصر فحاصره مصعب وقتله ونكل بأنصاره تنكيلا شديداً أثار مشاعر أهل العراق واستحق به لوم ابن عمر (٢) ، وانتهى الصراع بين ابن الزبير والمختار ليبدأ صراع جديد مع عبد الملك بن مروان الذى تأكد له أن ابن الزبير قد خرج منهوكا من حرب المختار فى الكوفة وأن الأزارقة قد أفقدوه كثيراً من قواه فى البصرة ، وكان عبد الملك قد تمكن من الخلاص من مشاكله فى ذلك الوقت ، ولكن عبد الله بن الزبير أخطأ عندما صرف أخاه مصعباً عن ولاية العراق سنة ٦٧ هـ وولى بعده ابنه حمزة الذى يقول عنه ابن الأثير : « إنه كان جواداً مخلطاً يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً مالا يمنع مثله وظهر منه بالبصرة خفة وضعف(٣) » .

ولم يكن ابن الزبير مدفوعاً فى عزل أخيه بخوف من الافتتان به أو استرابة فى إخلاصه إذ كان رجلا قديراً بشهادة أهل العراق ، ولكنه انتهز فرصة ما تحدث به الناس من زواجه وإسرافه فى هذا الزواج ليباهى بابنه بنى مروان مدفوعاً بعاطفة الأبوة ولكن ابنه نكس على حد قوله(٤) .

ولما أيقن عبد الله من خرّق ابنه ونكسه عزله وأعاد مصعباً مرة أخرى ، ولكن ابن الزبير كان قد خسر كثيراً خلال هذه الفترة القصيرة التى عُزل فيها مصعب ، وقد شغل عبد الملك قليلا عن انتزاع العراق من ابن الزبير فلم يكد

---

(١) الطبرى : جـ ٧ ص ١١٦ ، ابن الأثير : جـ ٤ ص ١١٢

(٢) ابن الأثير : جـ ٤ ص ١١٧

(٣) ابن الأثير : جـ ٤ ص ١١٧

(٤) ابن الأثير : جـ ٤ ص ١١٧

يخرج لهذا الغرض ويعسكر فى بطنان حبيب من أعمال قنسرين سنة ٦٩—٧٠ ﻫ حتى ثار به عمرو بن سعيد فاضطر إلى الرجوع حتى لا يكون مهدداً من خلفه ، وكان عمرو قد خرج ساخطاً على نقض مروان لمواثيقه فى مؤتمر الجابية ، ولكن بنى مروان تدخلوا فى الأمر واتفقوا على أن يشرك عبد الملك عمرا فى أمره على أن تكون له الخلافة من بعده، ورضخ عبد الملك مضطرًّا ريثما ظفر به فقبض عليه وقتله وألقى برأسه إلى رفاقه المنتظرين وفى أثرهما حفنات من الدنانير [١] .

وكان ابن الزبير ينزل باجميرا عند تكريت ، وبعد أن فرغ عبد الملك من عمرو بن سعيد خرج فى العام التالى إلى بطنان حيث دبر ثورة كلب وربيعة التى ثارت بابن الزبير بزعامة خالد بن عبد الله بن أسيد فى بعض نواحى البصرة، ولكن مصعباً استطاع أن يقضى عليها وفر خالد بابنيه حتى لحق بعبد الملك وانصرف مصعب إلى البصرة سنة ٧١ ﻫ ثم عاد إلى باجميرا من جديد [٢] .

وتقدم عبد الملك فى العام التالى ٧١/ ٧٢ ﻫ لقتال مصعب فنزل مسكن وزحف مصعب ، وقبل أن يلتقى الجيشان عند دير الجاثليق راسل عبد الملك قواد مصعب وأشراف الكوفة ومناهم الأمانى حتى أفسدهم عليه إلا إبراهيم ابن الأشتر فإنه دفع إلى مصعب بالكتاب الذى أرسله إليه عبد الملك وكلهم أخفى الأمر عن مصعب إلا إبراهيم بن الأشتر فإنه لما جاءه كتاب عبد الملك أخذه وأعطاه لمصعب فوجده يمنّيه بولاية العراق وأخبره خبر القواد وأنهم أخفوا كتب عبد الملك وطلب من مصعب أن يقتلهم حتى لا يفسدوا الجيش فأبى مصعب ثم رجاه حبسهم فأبى أيضا [٣] .

ومن ذلك نرى أن مصعباً لم يتمتع بإخلاص جنده كما أنه اضطر إلى أن يحرم نفسه خبرة قائده المهلب الذى اضطرته حروب الأزارقة إلى التغيب عن شهود هذه الموقعة الفاصلة ولسوء حظه أن توفى الأحنف بن قيس فى الكوفة

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١١٧
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١٣٥
(٣) الإمامة والسياسة / ج ٢ / ص ٢٠

وهو فى الطريق إلى المعركة [١] ، والتقى الجيشان عند دير الجاثليق ودارت معركة عنيفة قتل فيها إبراهيم بن الأشتر قائد مصعب ودارت الدائرة على جيش الزبيريين ، وأدرك مصعب أن هزيمته أصبحت محققة ولكنه صمد إلى النهاية وصمد ابنه عيسى إلى جواره ورفض أن يتخلى عن أبيه عندما دفعه إلى ذلك ، وظل يقاتل وأصحابه يتفرقون عنه ويخذلونه حتى بقى فى سبعة رجال ، وأثخن بالرمى وكثرت فيه الجراحات حتى لم يعد قادراً على أن يدفع عن نفسه ، وقيل إن زائدة بن قدامة الثقفى نظر إليه ثم حمل عليه فطعنه وهو يصيح يالثارات المختار ثم صرعه [٢] .

ودخل عبد الملك الكوفة بعد هذا النصر الرخيص ، فبايعه أهلها ، وولى عليها وعلى البصرة عمالاً من قبله [٣] ، وقضى عبد الملك شهوراً فى إخضاع الجزيرة واستسلم زفر بن الحارث فى قرقيسيا بعد حصار طويل ، واضطر ابنه الهذيل إلى اللحاق بعبد الملك ، وإن انقلب عليه وانضم لابن الزبير ، وتمكن عبد الملك من إخضاع نصيبين وعين الوردة وكان الخشبية من بقية أتباع المختار لا يزالون يدافعون عما بأيديهم هناك فاستسلموا وخضعوا واندمجوا فى جيشه [٤] .

وصفا الجو لعبد الملك ولم يعد فى يد ابن الزبير غير الحجاز ، وكان القضاء على نفوذه فى العراق مؤذناً بغروب شمس الخلافة الزبيرية ، فلم يكد مصعب يقتل حتى ذاع خبر هزيمته فى الحجاز على الرغم من تكتم عبد الله للخبر ، وتحدث بذلك العبيد والإماء فى سكك المدينة ومكة [٥] .

واضطر عبد الله إلى أن يعلن الخبر فى خطبته الحزينة محاولاً أن يخفف من وقعه .. « ألا وإنه قد أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا . أتانا قتل مصعب

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١٣٥
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١٣٧
(٣) الطبرى / ج٧ / ص ١٨٨
(٤) الأغانى / ج ٥ / ص ١٥٠
(٥) مروج الذهب / ج ٣ / ص ٥٥

رحمة الله عليه ، فأما الذى أفرحنا فعلمنا أن قتله له شهادة ، وأما الذى أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، فإن يقتل فإنا والله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبى العاص وما نموت إلا قعصاً بالرماح وموتاً تحت ظلال السيوف (١) .

وكان عبد الملك إثر وصوله الكوفة قد أقام بالنخيلة معسكراً أربعين يوماً وجه أثناءها بجيش قوى بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى إلى الحجاز (٢) .

ولم يقصد الحجاج مكة رأساً ولا المدينة ، وإنما ذهب إلى الطائف حيث مكث عدة أشهر ، ومن هناك أخذ يبعث البعوث لمناوشة عبد الله فى سهل عرفة وكانت خيله تهزم خيل ابن الزبير وترجع منتصرة ، ثم استأذن عبد الملك فى حصار الزبير ودخول الحرم عليه واستمده ، وكان طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان قد احتل المدينة التى تداولها قواد عبد الملك وقواد ابن الزبير زمنا طويلا من قبل هزيمة دير الجاثليق ، فكان طارق قد أخرج منها عامل ابن الزبير فأمره عبد الملك بأن يلحق بالحجاج فلحق به فى خمسة آلاف ، وتقدم الحجاج وطارق فبلغا مكة فى ذى القعدة سنة ٧٢ هـ والمسلمون يستعدون لأداء الفريضة ، ولم يتمكن الحجاج من الطواف أو السعى كما لم يستطع ابن الزبير حتى إذا أوشك الموسم أن ينتهى بدأ الحجاج بن يوسف يقذف الكعبة بالمنجنيق إلا أن ابن عمر أرسل إليه ينهاه عن انتهاك البلد الحرام فى الشهر الحرام ، ورأى الحجاج أن يكف حتى ينتهى الناس تماماً من الحج (٣) .

وبعد انتهاء الموسم نادى الحجاج فى الحجاج بالانصراف التماسا للنجاة والسلامة وبدأ يقذف الحجارة ، وكان الوقت شتاء فأرعدت السماء وبرقت ، ونزلت الصواعق على جيشه حتى قتلت عدداً كبيراً منهم ، وشعر جند الشام بالخوف إذ عدوا هذه الظواهر مظهراً لغضب الله لانتهاكهم بلده فى الشهر الحرام ، فأمسك الشاميون عن

---

(١) ابن الأثير / جـ ٤ / ص ١٤٠
(٢) الطبرى / جـ ٧ / ص ٢٠٢
(٣) ابن الأثير / جـ ٤ / ص ١٤٦

القذف ، وخشى الحجاج تخاذل جنده فشجعهم وأثار حماستهم وأخذ يقذف بنفسه، وأثناء ذلك نزلت صاعقة على جند ابن الزبير فقتلت فيهم كثيرين ونهض الحجاج حينئذ خطيباً فى جنده فقال : « ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة » .

وتكاثرت الحجارة على الكعبة حيث اعتصم ابن الزبير وأصحابه فرأى كثير منهم ألا طائل وراء المقاومة فخرجوا إلى الحجاج يطلبون منه الأمان فأمنهم وبقى عبد الله فى قليل من أنصاره [1] ولم تزل الحرب دائرة وأصحاب عبد الله يتفرقون عنه حتى خرج عامة أهل مكة إلى الحجاج فى الأمان وفيهم حمزة وحبيب ابنا عبد الله . ولكن عبد الله ذلك الشيخ ذا الثلاثة والسبعين عاماً خجل من طلب الأمان وآثر أن يودع أمه وأن يخرج مقاتلا فى عدد قليل جداً وهو يرى انطباق الخضراء على الغبراء أحب إليه من طلب الأمان أو الإجابة إليه وقد حمله إليه أخوه عروة [2] .

وقد أراد الحجاج أن يشرك أهل الأمصار جميعا فى دم ابن الزبير فجعل على أبواب المسجد رجلاً من أهل كل بلد فكان عبد الله يحمل فى هذه الناحية مرة وفى هذه مرة فكأنه أسد فى أجمة [3] . واستمات عبد الله فى القتال وهو يحث من يقاتلون حوله حتى أصابه حجر فى جبينه فتكاثر عليه أهل الشام من كل باب حتى سقط صريعا فى الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٧٣ ﻫ .

وقد ترك مصرعه رنة أسى فى أهل الكوفة وازدادوا أسى عندما صلبه الحجاج ليثير الرعب فى قلوب أنصاره ، ورفض رجاء أسماء بنت أبى بكر فى دفنه حتى سمح له عبد الملك فى ذلك .

وأخذ لعبد الملك البيعة من أهل مكة ثم رحل إلى المدينة بعد أن ولاه

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ١٤٧ – ١٤٨
(٢) الإمامة والسياسة / ج ٢ / ص ٢١
(٣) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١٤٨

عبد الملك الحجاز ، وبمجرد سقوط مكة دانت لعبد الملك أمصار دولة الإسلام جميعا .

ويعزو كثير من المؤرخين إخفاق حركة الزبير إلى سبب رئيسى هو تمسكه بالحجاز الذى أصبح منذ قتل عثمان ركناً ميتاً ولم يكن من الممكن جعله مركزاً للحياة السياسية[١] على الرغم من اضطراره إلى ذلك تمشيا مع طبيعة الحركة التى ارتفع شأنه بسببها .

ويؤكد فلهوزن أن خصومة ابن الزبير للأمويين لم تكن ترجع إلى صبغة دينية ، وإنما كانت ذات لون سياسى بل هى على التحديد خصومة سياسية هدفها استعادة العاصمة القديمة للدولة ما كان لها من سيادة وقد نهض بتحقيق هذا الهدف أعضاء طبقة الأشراف الإسلامية من أبناء كبار الصحابة يؤيدهم الرأى العام وكثرة قريش والأنصار وإن أيدوا وجهة نظرهم بمؤيدات تجلت فى اتهام خصومهم بالمروق عن الدين[٢] وفى إقامة ابن الزبير فى الحرم الذى عاذ به حتى عندما كانت أبواب مجد الدنيا مفتوحة أمامه .

ويأخذ فلهوزن على ابن الزبير أنه أصبح بسبب هذا فى مكان ثانوى إلى أبعد حد ، إذ كان القتال من حيث الاسم يدور حول شخصه ، ولكنه لم يشترك فيه وتقررت نهاية القتال بدونه ولم يكن شأنه فى جزيرة العرب نفسها فى أثناء سنين طويلة أكبر من شأن نجدة الخارجى .

وربما أصاب فلهوزن إلى حد كبير فى تشخيص الحركة وأهدافها ، وأنها حركة سياسية تعبر عن الرغبة فى استعادة زعامة الحجاز ، ولكن اتخاذ الحجاز قاعدة لهذه الحركة كان أيضاً رمزاً لاستعادة الخلافة الإسلامية الأولى التى نشأت فى هذه البلاد والتى خالف عن تعاليمها بنو أمية بخروجهم عن نطاق الشورى الإسلامى وبالعمل على تحويلها إلى السنة الهرقلية مما لا يتفق مع تقاليد العروبة وروح الإسلام .

أما أنه أصبح فى مكان ثانوى لأن القتال كان يدور من حيث الاسم حول

---

(١) تاريخ الدولة العربية ص / ١٩٥

(٢) تاريخ الدولة العربية / ص ١٦١ – ١٦٢

شخصه فهذا أمر ليس له كل هذا الخطر ، فقد كان هذا شأن الكثيرين من الخلفاء الراشدين ورؤساء الحركات الثورية وكان فى أخيه مصعب غنى عنه وكفاية .

ولقد كره ابن الزبير انتقال الحكومة إلى الشام وآثر بقاءها فى الحجاز مسايرة لعصر الخلفاء الراشدين ، ولأنها بلاد العنصر العربى الخالص ولمكانة الأمويين فى الشام التى ترجع إلى ما يزيد عن نصف قرن وارتمائهم فى أحضان أصهارهم اليمنيين .

كما كره أن ينقل عاصمة دولته إلى العراق حيث لا يمكن لأية حركة هناك أن تزاحم الشيعة ، وحيث لا يمكن التعايش بين العنصر القرشى الخالص والموالى الذين انصرفوا عن ولاته إلى أحضان المختار .

٣

كان حزب الزبيريين حزباً ذا منهج عملى ناضل عن فكرته بالسيف واللسان ، ولكنه كان حزبا طارئا لم تمهله الظروف لينهض دعاته بإقرار نظريته مما جعله أشبه شىء بثورة طارئة أو بخروج وارتداد على السلطان ، لهذا لم يكد يسقط زعيمه حتى انتهى دون أن يكون له استمرار بعد ذلك ، شأن بقية الأحزاب .

وتدور تعاليم هذا الحزب حول مسألة الخلافة فيرى الزبيريون أن الخلافة حق لقريش وحدها كما أعلن ذلك أبو بكر يوم السقيفة ، فهم أول من عبد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم فى ذلك إلا ظالم [١] وقد روى أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الأئمة من قريش » [٢] كما أثر عنه أنه قال : « الملك فى قريش والقضاء فى الأنصار والأذان فى الحبشة » وأنه قال أيضا :

---

(١) الطبرى / ج ٣ ص ٢٠٨
(٢) الملل والنحل / ج ١ / ص ١٦

« الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا » (١) .

ولا يقتصر اشتراط القرشية فى الخليفة على مجرد التبرك بالنبى صلى الله عليه وسلم لأنه ليس من المقاصد الشرعية إذ لا بد من المصلحة التى هى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب ليكون أبلغ فى انتظام الملة واتفاق الكلمة ، فإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذعن لهم سائر العرب ، وذاك أن قريشاً كانوا عصبة مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم ، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك (٢) .

ولكن الزبيريين كانوا يرون أن ليس كل قريش بكفء لتولى هذا الأمر ، وإنما يقصرونها على الأكفاء ، ويرون أن عبد الله بن الزبير كان أكفأ من معاوية ومن غيره من الأمويين الذين يحكمون بسيوف كلب وغيرها من قبائل الشام اليمانية ، وكأنه لم يعد لقريش ولا للحجاز عامة شىء من الحكم بل استباحوا مدينة الرسول ، وقضوا بكون الخلافة لا بسلطان شرعى ، وإنما بسلطان السيف والقوة ، وكان اعتقاد الزبيريين إذن أن معاوية لم ينل الخلافة عن طريق شرعى ، وإنما نالها بالسيف وهو ليس كفئاً لها كما قال عبدالله : «فإن هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها الرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء؛ فاتق الله يا معاوية وانصف عن نفسك . فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وهذا عبد الله بن جعفر ذى الجناحين ابن عم رسول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله وعلىّ خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما؛ فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك » (٣) .

ولم يكن الزبيريون يرون أسلوب التوريث الهرقلى الذى استحدثه معاوية

(١) تاريخ الخلفاء / ص ٦
(٢) مقدمة ابن خلدون / ص ١٩٤ — ١٩٥
(٣) الإمامة والسياسة / جـ ١ ص ١٢٦

حتى إذا مات هرقل قام هرقل كما قال عبد الرحمن بن أبى بكر [١] ، وإنما كانوا يرون أن يتبع أسلوب من الأساليب التى قررتها الخلافة الإسلامية الأولى ، كما صنع النبى – صلى الله عليه وسلم – أو كما صنع أبو بكر أو كما صنع عمر ، فقد قبض رسول الله ولم يستخلف أحداً فارتضى الناس أبا بكر ، فإن لم يجد معاوية رجلا مثل أبى بكر وخاف الاختلاف ، صنع كما صنع أبو بكر فقد عهد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بنى أمية فاستخلفه ، أو إن شاء صنع كما صنع عمر إذ جعل الأمر شورى فى ستة نفر ليس فيهم أحد من ولده ولا من بنى أمية [٢] .

فالكفاءة شرط آخر يضاف للقرشية : فيزيد بن معاوية قرشى ولكنه ليس كفئاً ، فهو يزيد الخمور ويزيد الفجور ويزيد الفهود ويزيد القرود ويزيد الكلاب ويزيد الفلوات [٣] وعبد الله بن الزبير صالح تقى ليله قائم حتى الصباح ، وليله راكع حتى الصباح ، وليله ساجد حتى الصباح [٤] ، وهو أول طفل ولد فى المدينة فى الإسلام فحملته أمه أسماء إلى رسول الله فحنكه بتمرة فكان أول من دخل فى جوفه ريق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فكبر الصحابة والمسلمون بمولده استكباراً ، وسماه رسول الله باسم أبيه [٥] .

وكان فرح النبى به عظيما لأن اليهود كانوا يقولون سحرناهم فلا يولد لهم ولد[٦] فقال الرسول لأمه : أرضعيه ولو بماء عينيك [٧] .

وكان عبد الله من السابقين فى الإسلام ، بايع النبى وهو ابن ثمان سنين ، وهو ربيب عائشة زوج الرسول وكانت تكنى بأم عبد الله [٨] . وعبد الله أمير

---

(١) ابن الأثير / جـ ٣ / ص ٢١٦
(٢) ابن الأثير / جـ ٣ / ص ٢١٧
(٣) أنساب الأشراف / جـ ٤ / ص ٣٠
(٤) ابن الأثير / جـ ٤ / ص ١٥٠
(٥) تاريخ ابن عساكر / جـ ٧ / ص ٣٩٧
(٦) تاريخ الخلفاء / ص ٨٢
(٧) أنباء نجباء الأبناء / ص ٨٥
(٨) البداية والنهاية / جـ ٨ / ص ٩١

إذا فر الصبيان فزعاً من صياح رجل بهم لم يفر، وإنما يصيح فيهم : « اجعلونى أميركم وشدوا بنا عليه » . فيفعلون [١] .

وهو جرىء ثابت الجنان مقول منذ حداثته؛ يلوذ الصبيان فزعاً من هيبة ابن الخطاب بالفرارة، ولكنه يلزم مكانه ويجيب على سؤال عمر : مالك لم تفر معهم ؟ بأنه لم يجرم فيخافه ولم تكن الطريق ضيقة فيوسع له [٢] .

وهو منذ يفاعته مجاهد فى سبيل الله شهد مع أبيه فتح الشام واليرموك فى الرابعة عشرة من عمره، وصحب أباه فى فتح مصر واشترك فى تدوين القرآن، وأبلى بلاء حسناً فى فتح أفريقية حينما غير خطة عبد الله بن سعد بن أبى سرح فظفر بملكهم جرجير فى أول يوم بعد أن طال القتال دون حسم، وحتى افتقد الخليفة عثمان خبر الجند ولم يرسل ابن الزبير إلا ليخبره خبرهم فإذا هو يأتيه بنصر من صنع يده يحمل نبأه وغنائمه [٣] وقد غزا اصطخر فى سبيل الله [٤] .

فعبد الله أكفأ من يزيد وأفضل منه، ووالده خير من والده، وأمه خير من أمه، وخالته خير من خالته، وعمته خير من عمته، كما أقر بذلك النعمان ابن بشير رسول يزيد نفسه إلى ابن الزبير : « أبوك الزبير، وأمك أسماء بنت أبى بكر، وخالتك عائشة، وعمتك خديجة، أما إذا استشرتنى فلا أرى أن تبايع له ولست بعائد إليك بعد هذا أبدا [٥] .

وهو صاحب عهد الخليفة عثمان بن عفان يوم الدار وأميرها حينما حاصرها الثوار، وفى هذا ما يشعر باستخلافه كما أناب رسول الله أبا بكر ليصلى بالناس فى مرضه الأخير فاستدل من هذا الإيحاء باستخلافه، وقالوا إنما أنابه عنه فى دينهم أفلا ينيبونه فى دنياهم . وكان عبد الله يتحدث فى ذلك فيقول : والله

---

(١) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١٥٠
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ص ١٥٠
(٣) أسد الغابة / ج ٣ / ١٦٢ ، الإصابة / ج ٣ ص ٧١
(٤) المعارف / ص ٦٤
(٥) الأخبار الطوال / ص ٢٧٣

لقد استخلفنى أمير المؤمنين عثمان على داره ، فلقد كنت أنا الذى أقاتـ
ولقد كنت أخرج فى الكتيبة ، وأباشر القتال بنفسى فجرحت بضعة
جرحاً ، وإنى لأضع اليوم يدى على بعض تلك الجراحات فأرجو أن
خير أعمالى [١] .

ومن أجل ولائه لعثمان فقد صداقة الخوارج الذين امتحنوه فيه
النتيجة أن فقد حلفاء أشداء وكسب أعداء ألداء ، وبكى عبد الله
بكى مصعباً من فوق منبر مكة [٢] .

وهو صاحب الصلاة يوم الجمل إذ قدمته عائشة لإمامة أصحاب
فتخطت به أباه وطلحة [٣] ولم يكن أحب إليها بعد رسول الله وأبيها منه ،
وما سمعت تدعو لأحد من الخلق مثل دعائها له ، كما أوصت له بحجرتها [٤] .

وهى أسانيد تجعله جديراً بالخلافة وأحق بها من يزيد وأشباه يزيد ، ولكنها أسانيد تدور حول شخصه أكثر ما تدور حول مبدأ عام تقوم عليه نظريتهم فى الخلافة والحكم ، إذا استثنينا إصرارهم على أن يكون الحجاز قاعدة لدولتهم.

ويبقى أن نعلم هل كان باستطاعة ابن الزبير أن يتنازل عن الخلافة لقرشى أكفأ منه وكيف تقاس هذه الكفاءة ، وبأى المقاييس ؟

إن هذا سبب هام من أسباب فشل الحزب الزبيرى ، فقد كان حزباً يدور حول شخص بعينه وليس له مبادئ عامة مقررة يمكن أن يتولى الدعوة لها دعاة بالفكر والمنطق وأدلته .

ولقد قيدت نظريتهم شرط القرشية بالكفاءة فإذا أمكن تبين الشرط الأول وهو أمر ميسور ، فإنه يتعذر الحكم فيما يختص بالشرط الثانى .

وقد أسهمت عوامل أخرى فى فشل الحزب منها عوامل عامة وعوامل خاصة،

---

(١) تاريخ ابن عساكر / ج ٧ / ص ٤٠٢
(٢) ابن الأثير / ج ٤ / ١٤٠
(٣) ابن الأثير / ج ٣ / ص ٨٨
(٤) تاريخ ابن عساكر / ج ٧ / ص ٤٠٢

فالعوامل العامة هى التطور الحضارى الذى شمل الحجاز حتى صار موطنا للأرستقراطية المترفة التى تخلفت فى الحجاز بعد انصراف العناصر السياسية فيه إلى الشام والعراق ، وقد مالت هذه الأرستقراطية إلى حياة اللهو والمجون ، ولم تكن مناصرة الحركات السياسية من شأنها ، كما أنها لم تكن تستطيع الاعتماد على نفسها من مواردها .

وليس شك فى أن قيام نظرية الخلافة الزبيرية على أساس عنصرى إنما يمثل قصوراً فى فهم الرسالة الإسلامية واستعداء للعناصر غير العربية من المسلمين التى ارتمت فى أحضان الحركات الأخرى القائمة على المساواة ، وأيضا كان قيامها على هذا الأساس العنصرى سببا فى امتزاج السياسة بالصراع القبلى وإحياء الإحن القديمة بين اليمنية والمضرية .

ومن هذه العوامل أيضا ظهور فرق وأحزاب تقوم على أسس فكرية ودينية كان اصطدامها بالزبيريين أصحاب العصبية أمراً محتوما ، الأمر الذى وزع قوتهم وشغلهم فأضاعوا سنين طويلة فى محاولة تأسيس دولتهم ثم فى سبيل المحافظة عليها ، وهى تسقط حصنا حصنا .

أما العوامل الخاصة فأهمها بخل ابن الزبير وحرصه الشديد الذى جعل كثيرا من العرب ينصرفون عنه ، والأمثلة على بخله ليست بحاجة لأن تروى فهى كثيرة وشهيرة ، فمما لا شك فيه أن الدعاية أمر لا بد منه لنجاح أية حركة سياسية ، وهذا يفسر قلة الشعراء حتى إننا لا نكاد نجد غير شاعر واحد لم يمسكه عليهم غير إيمانه الشخصى بقرشيته يدافع عن نظريتهم فى الخلافة . وكان لبخل ابن الزبير أكبر الأثر فى انصراف الناس عنه حتى إنهم كتبوا إلى عبد الملك أن أقدم إلينا ، وكان عبد الملك يشترى القادة قبل المعركة مثل ما صنعه قبل مسكن وكان يقول عن ابن الزبير : إن فيه لثلاث خصال لا يسود بها أبداً : عجب قد ملأه ، واستبداد برأيه ، وبخل التزمه فلا يسود بها أبدا [١] ؛ فكان

---

(١) الإمامة والسياسة / ٢ / ص ٢٠

حريصا أشد الحرص حتى قيل عنه أيضا إنه كان يعطى مال الله كأنه يعطى ميراث أبيه [١] ، وكذلك قيل إنه كان عظيم الشح فلذلك لم يتم أمره [٢] .

ولا يمكن أن يغفل خطر الإخفاق الذى وقع فيه الزبيريون وهو ما وقع فيه بنو أمية من إيذاء آل بيت الرسول فحبس ابن الحنفية وأبعد ، وكذلك فُعل بابن عباس وسفك دم الشيعة فى الكوفة وأثير سخط المسلمين وتذمرهم .

---

(١) اليعقوبى / ج ٣ ص ٩

(٢) الفخرى / ص ١٠٥